مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

# التجليات الفلسفية في علم أنثروبولوجيا الأديان

# Philosophical manifestations of the anthropology of religions

د.صياد فاطمة[1] *

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف الجزائر

sayedfatima81@gmail.com

د.بوشنافة سحابة[2]

[2]جامعة سعيدة– الجزائر

bouchenafa201@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/02 تاريخ القبول: 2021/09/26

**ملخص:**

تهتم الفلسفة بدراسة مختلف قضايا الوجود والمعرفة والقيم، لمختلف الظواهر والعلوم بشتى حقولها ومجالاتها، كالبحث في مشكلات الحياة والموت والنهاية والمصير، كما تعنى بدراسة الفكر الإنساني وما يحمله من ذهنيات مرجعية وتصورات مفهومية لتكشف عن أصل الحقائق التي تبنى عليها الموجودات، وما وراء الطبيعة وعلم الظواهر لدى الإنسان إلى جانب العلاقات الاجتماعية والتاريخية وغيرها، ومن هذا المنطلق سعينا في هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهمية الفكر الفلسفي ومناهجه في التأسيس لعلم أنثروبولوجيا الأديان، من خلال تتبع أثر الطرح الفلسفي الذي يبنى عليه هذا العلم.

**الكلمات الدالة:** الفكر الفلسفي، الأنثروبولوجيا، علم الأديان، المنهج الفلسفي، الأنثروبولوجيا الدينية.

**Abstract:**

Philosophy focuses on the study of the different issues of existence, epistemology and values of the various phenomena and sciences in their fields and domains such as investigating life problems, death, the end, and the fate. It also studies the human thought and the mentalities and the mental concepts to reveal the origin of the truths on which the existences, metaphysics, and phenomena are built in addition to the social historical relationships. Based on this, we try in this paper to show the necessity of the philosophic thought and its methodologies and bases in

* **المؤلف المرسل**: صياد فاطمة، **الايميل**:sayedfatima81@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

establishing anthropology of religions through tracing the philosophic premise on which this science is built.

**Keywords:**
philosophic thought, anthropology, religious science, philosophic methodology, religious anthropology.

**مقدمة:**

يبنى علم الأنثروبولوجيا على اتجاهات فكرية متعددة، إذ تفرعت واختلفت المجالات والجوانب الدراسية ومناهج البحث التي يستخدمها علماء الأنثروبولوجيا،كما تنوعت الاساليب لجمع المعلومات العلمية التي تفيد البحث في مجال علم الإنسان، خصوصا وأن هذه المادة البشرية الحية المدروسة، تشترك فيها عدّة حقول معرفية وبحثية تستدعي تمحيصها ودراستها دراسة متكاملة مع غيرها نذكر منها:علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، علم التاريخ ، علم التشريح ،..الخ كما تنفرد الأنثروبولوجيا بفروع علمية خاصة وهذا كالأنثروبولوجيا الحيوية، والانثروبولوجيا العضوية(الفيزيقية)، والانثروبولوجيا البيئية، وأنثروبولوجيا الدين، وغيرها ....

ومن منظور آخر، "فإن الباحث يفسر الحقائق واستنباط الاحكام للظواهر الاجتماعية في علم الانثروبولوجيا على أساس تشابكها وترابط بعضها بالبعض الآخر" (ج بارتو، 2010، صفحة 13).

**في ماهية الأنثروبولوجيا** : ظهر علم الآنثروبولوجيا منذ عهد بعيد ، اذ تميّز هذا العلم برؤى واسعة أوفت إلى تعاريف ومفاهيم شتى له نذكر في مجملها أنه" العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، : وممارساته المختلفة التي يمارسها في المجتمع كما يدرس السلوك الإنساني وثوابته الثقافية والعقائدية الاجتماعية ، وحدود نشاطاته البدائية و المعاصرة والحديثة وأسباب تطورها للإنسان والتنبؤ بمستقبله القادم، بالاعتماد على تتبع تطور الإنسان عبر التاريخ، كما هو علم يهتم دراسة الإنسان حضارياً واجتماعياً وطبيعياً.(بارتي، 2010، صفحة 5) " من هذا التعريف يتبين لنا طبيعة علم الإنثروبولوجيا الذي يركز في دراسته على الإنسان وفهم تغيراته السلوكيه، من خلال تحديد الخصائص والقيم التمييزية للإنسان في المجتمع وتحديد صفاته، بالإضافة إلى اهتمام هذا العلم بدراسة أفكار ومعتقدات الإنسان ومستوى ثقافته وتطورها، من خلال نظريات التطور عبر الزمن.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

**الأنثروبولوجيا الدينية** : ترتبط الانثروبولوجيا الدينية بعلم الأديان الذي يعتبر "أحد أهم العلوم الإنسانية التي تعنى بدراسة الأديان دراسة علمية، وفق مناهج بحث مختلفة ومتعددة، فهو يتقاطع مع علم الاجتماع، الذي يدرس المجتمع، كما يتقاطع مع علم الأنثربولوجيا، الذي يدرس الإنسان وثقافته،...الخ" (الماجدي، دت، صفحة 51).

كما يتغلغل علم الأديان في المجتمع والفرد ليقترب من الظاهرة الدينية وجوهر الأديان بوسائل علمية وفكرية تحتّمها طرق البحث العلمية عبر الزمن التطوري للفرد، وتعتبر "**الأنثروبولوجيا الدينية** مجال متخصص في البحث عن معتقدات الفرد وممارساته الدينية، وتأثيرها على المجالات الحياتية الأخرى كالاقتصاد والسياسة والقرابة والأسرة والزواج واللغة والطب وغيرها. ويمكن تعريفها على أنها دراسة متخصصة في المجال الذي يهتم بالعلاقة بين كل ما هو مقدس والمجتمع.. حيث أن التركيز الرئيسي للأنثروبولوجيا الدينية هو الفهم والتحليل وشرح العلاقة بين الإنسان والمعتقدات والممارسات المرتبطة بها المؤسسات.(الماجدي، دت، صفحة 55)"، ومنه فان الهدف الأساس الذي تبحث فيه أنثروبولوجيا الدين ليس البحث عن الحقيقة المطلقة للدين وتأكيده، لكن تبحث عن سبب التزام مجموعة معينة من الناس بالمعتقدات الدينية والعلاقة الدينية والمعتقدات والعمليات الاجتماعية والثقافية والتاريخية والعوامل البيئية. " حيث يهتم علماء الأنثروبولوجيا الدينية "بالإثنوغرافيا والإثنولوجيا "(https://ar.strephonsays.com/ethnography-and-vs-ethnology-14499 )العلمية والمنهجية لتحليل المعتقدات الدينية والممارسات والمؤسسات والجوانب الأخرى المرتبطة بها مثل السحر والتدين والشفاء على أساس الإيمان، وتملك الروح، والبدع، وغيرها. وبشكل عامفإن علماء الأنثروبولوجيا همالذين يهتمون بالدراسة و التحقيق في الجوانب التالية "(الجوهري/ شكري، 2004، صفحة 26):

- الأصول الاجتماعية للدين.
- دور الدين في تنمية البشرية والمجتمع.
- وظيفة الدين في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات
- العلاقة بين الدين والجوانب الأخرى للمجتمع مثل الثقافة و الاقتصاد و.... وغيرها.
- محتويات المعتقدات والممارسات الدينية .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

**الأنثروبولوجيا الفلسفية:**

تمثل الأنثروبوبوجيا الفلسفية فرعا هاما من فروع البحث العلمي، وفكرا خاصا يبحث بالأساس في علاقة الإنسان بالواقع ، "فهي تسعى لدمج وتوحيد طرق متباينة، هدفها فهم سلوك البشر، مع تحليل علم الوجود، الذي قام بلعب أهم الأدوار في العلاقات الإنسانية، لتصبح التبادلية الداخلية موضوعاً أساسيا فيه، وفي داخل حيز مشترك لدراسة كيفية فهم شخصين، وقد ركز بعض علماء الأنثروبولوجيا الفلسفية، أبحاثهم وأعمالهم الميدانية، على المواضيع الوجودية في العالم، وأيضاً العلاقة بين الأشخاص، في أسلوب منهجي تحدى الأنثروبولوجيا التقليدية، من خلال تركيزها على تجربة الشخص الأول، كما استكشف أحد العلماء مفهوم السيطرة، والذي أشار فيه إلي أن البشر يقومون بتجسيد الأشياء الجامدة حولهم، لأجل الدخول في علاقة شخصية معهم، وبتلك الطريقة يستطيع البشر أن يشعروا وكأنهم يتحكمون في مواقف يصعب عليهم السيطرة عليها، بدلاً من التعامل من الكائن نفسه، ليعاملونه كأنه كائن عقلاني قادر على فهم مشاعرهم ولغتهم "(https://aljadeedmagazine.com)

**الفلسفة والدين:**

تتحدد علاقة الفلسفة بالدين في كونها " الدراسة العقلية للمعاني والأحكام التي تطرحها الأسس الدينية وتفسيراتها للظواهر الطبيعية وما وراء–الطبيعية مثل الخلق والموت ووجود الخالق ففلسفة الدين هي فرع من فروع الفلسفة تتعلق بالأسئلة المختصة بالدين، كماهية وطبيعة الاله وقضية وجوده، والطقوس الدينية وتحليل أسباب الاعتقاد بالدين و تفسير نصوصه الدينية، كما أن العلاقة بين الدين والعلم. وهي منهج قديم، وجد في أقدم الموروثات الخطية المتعلقة بالفلسفة التي عرفتها البشرية، حيث ترتبط بفروع أخرى من الفلسفة والفكر العام كالميتافيزيقيا والمنطق والتاريخ.....»(السيد، 2019، صفحة 56).كما تسعى فلسفة الدين إلى معالجة القضايا الدينية بفكر عقلاني يكشف عن حقيقة وجوهر الظواهر الدينية.

**الفكر الفلسفي في أنثروبولوجيا الأديان:**

إن المتتبع لخصائص علم أنثربولوجيا الأديان يجد أنها تعتمد على الفلسفة كركيزة أساسية بالدرجة الأولى لفهم البنيات التكوينية والعقائدية عند الإنسان من أجل التحليل والتشخيص والاستنتاج إذ يتجلى هذا الطرح فيما يلي :

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن إحدى المشكلات الرئيسية في أنثروبولوجيا الدين هي مفهوم الدين نفسه عند الإنسان، إذ يعتقد علماء الإنسان أن "بعض الممارسات والمعتقدات الدينية المعنية كانت أكثر أو أقل شمولية لجميع الثقافات في مرحلة ما من تطورها، مثل الإيمان بوجود الأرواح أو الأشباح، واستخدام السحر كوسيلةً للسيطرة على أحداث فوق الطبيعة، واستخدام الكهنة كوسيلةً لاكتشاف المعرفة الغيبية، وأداء الطقوس مثل الصلاة و التأثير على نتائج الأحداث المختلفة من خلال هيئة خارقة للطبيعة (مسلان، 2009، صفحة 201).لذلك يبدو جليا أن الدين بالتوظيف الأنتروبولوجي هو نظام فلسفي رمزي يعمل على إنشاء حالات انفعالية ودوافع قوية سائدة طويلة الأمد عند الإنسان من خلال صياغة المفاهيم عن الواقع العام للوجود، والتي تعطي بدورها حقائق جديدة عن مختلف الظواهر الدينية.

كما نجد أن "علماء أنثروبولوجيا الدين عبر الثقافات المختلفة في العالم، يعتمدون على العديد من المعايير المختلفة لتعريف الدين –مثل الإيمان بوجود القوى الخارقة أو اللجوء إلى الطقوس الدينية، وهي أفكار تظهر جلية في المعطيات الميتافيزقية الفلسفية ،وان كانت هناك قلة تدّعي أن هذه المعايير شرعية عالميًا" (السيد، 2019، صفحة 51).

وتأسيسا على ذلك ، فإن المبادئ الفلسفية في علم أنثروبولوجيا الأديان، تعمل على تحقيق الرؤى الدينية في معتقدات الإنسان وكيفية تجليها في الحياة الاجتماعية، والظواهر الروحية والمعالجة الإيمانية للفرد وطرق التعاملات المختلفة بهذا الحدس الروحي للفرد مع ذاته وغيره،ووضع البحث في مسالك من المتغيرات والثوابت لمجموعة من المعتقدات والممارسات، من أجل تنظيم المجتمع ومجموعاته الدينية ومسايرة معرفته وفقا لتوجهاته الدينية.

**المنهج الفلسفي في أنثروبولوجيا الأديان:**

إن الفلسفة قد ابتكرت لها مناهج بحث علمية خاصة ترتبط بها، كما قد تصلح لغيرها أيضا، وهو ما يفسر لجوءنا إلى البحث عن المناهج العلمية، التي أسهمت في تحفيز البحث العلمي في الأديان، ومن ثم ظهوره كعلم مستقل بذاته .

فقد ظهرت مجموعة من المناهج الفكرية خارج منظومة العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية، واعتمد أغلبها على الفلسفة والفكر، مثل:"المنهج التأويلي، والمنهج الوضعي، والمنهج الجدلي، والمنهج الظاهراتي.وقد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أدت هذه المناهج دورا كبيرا في تطوير العلوم الإنسانية، وترسيخ علميتها، ما أثر كثيرا في تطوير وبزوغ (الأنتروبولوجيا وعلم الأديان).

وقد ساد المنهج الاستقرائي في البحوث العلمية كرد فعل على المنهج الاستنباطي (الاستدلالي)، الذي كان سائدا في العصور القديمة والوسيطة، والذي كان مرتبطا بأرسطو بشكل خاص."(المصباحي، 2015، صفحة 05)، كما استثمرت الأنثربولوجيا هذه المناهج في التثبيت والاستدلال عن الحقائق الدينية للإنسان تمثلت في البحث عن الجزئيات الخاصة بالإنسان في أعرافه وعاداته وتقاليده ومفهوم العلامات والرموز في مجتمعه ، لتصل إلى الأحكام العامة، الكليات، المتمثلة في علاقة المجتمع بدينه وطبيعة مقدساته، "وقد بقي المنهج الاستقرائي محافظا على أهميته طيلة القرون اللاحقة، وفي القرن التاسع عشر، ظهرت العلوم الإنسانية، وأصبحت هناك مناهج محضة خاصة بها؛ ولذلك أصبح المنهج الاستقرائي مثل شرط علمي ضمني، فيما سادت طبيعة مناهج العلوم الإنسانية على البحوث العلمية في هذا المجال . ."(الهلالي، 2020، صفحة 11) ومن هنا يظهر جليا الفكر الفلسفي في ضبط الحقاق العلمية والتجريبية الاستقرائية، عدا المنهج الوضعي والجدلي الذي انتقيناه في هذه الدراسة لتبيان جدوى الفلسفة في تقصي الظواهر أنتربولوجيا الأديان والبحث عن حلول لإشكالياتها.

فضلا عن ذلك نجد أن "المنهج التأويلي قد أصبح في صورة نظرية فلسفية، بعيدا عن التفسير الديني، مؤثرا في جميع مناهج علم الأديان إذ بات منفتحا على عصر جديد تخضع له جميع النصوص الدينية والمفاهيم الخطابية الذي أزاح عنها قدسيتها"(الهلالي، 2020، صفحة 11)، وانصب جانب التأويل في اللغة،التي يتحدث بها الإنسان وفي الإيمانيات النفسية بهذه المقدسات فاحتل المنهج التأويلي الفلسفي عمود وصل بين المبادئ الدينية وبين البنية الذهنية المتجسدة في سلوكات الإنسان.

وقد واصل العلماء مدارسة هذه الطروحات في جعل التأويل بمثابة المنهج العلمي للعلوم الإنسانية لتحريك عجلة البحث والدراسات.

**المنهج الوضعي في أنثروبولوجيا الأديان:**

وهو المنهج الذي سعى إلى وضع قوانين ومعادلات علمية للظواهر الدينية الاجتماعية وربط تفسيراتها بالظواهر الطبيعية، وهذا ما "يجعل المنهج الوضعي متعارضا كليا مع الدين والفلسفة في مناهجهما التقليدية ."(الهلالي، 2020، صفحة 5)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما أخضع المنهج الوضعي كل ظواهر المجتمع لقوانين الطبيعة الثابتة، وجعل العلوم الطبيعية نموذجا له، حيث استمد منها المصادر الحسية للمعرفة، مثل: الملاحظة، والتجربة، والمقارنة، هي الأساس، مستبعدا التأمل، والمظاهر العقلية، فأضحى التعامل مع الواقع من خلال العملية الوضعية في تفسير سلوكيات الإنسان الدينية، بطريقة إيجابية مبنية على عدم الاصطدام بالتناقضات الفلسفية.

ومنه فإن تجليات الفلسفة في أنتروبولوجيا الأديان تستند على مجال العلوم الاجتماعية، كما في العلوم الطبيعية،لذا فإن المعرفة الحقيقية هي المعرفة بالبيانات المستمدة من التجربة الحسية، والمعالجات المنطقية والرياضية لمثل هذه البيانات والتي تعتمد على الظواهر الطبيعية الحسية وخصائصها والعلاقات ، التي يمكن التحقق منها من خلال الأبحاث والأدلة التجريبية.

**المنهج الجدلي في أنثربولوجيا الأديان:**

لقد كان جدل الفيلسوف هيغل مثاليا، ولم يخدم العلوم الإنسانية ؛ لأنه أعادها إلى حظيرة الميتافيزيقا، ولكن الثورة الحقيقية للجدل ظهرت مع ماركس وإنجلز، اللذين ابتكرا الجدل المادي، الذي كان ثورة حقيقية في مجال الفلسفة، والعلم، والعلوم الإنسانية(الماجدي، دت، صفحة 51) وقد اعتمدت الجدلية في علم الأنثرولوجيا على تتبع علاقة الإنسان بذاته وما يؤمن به من بمقدسات مثل وجود الله والتمسك بأعراف مجتمعه ،فتنطلق جدلية أنثروبولوجيا الأديان من الواقع الملموس لتصل إلى مفهوم الدين الإنساني. من خلال المنهج الفلسفي الذي يرتفع بالعقل من المحسوس إلى المعقول، دون أن يستخدم شيئا حسيا، وإنما بالانتقال من معان إلى معان بواسطة معان، وبأنه العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة، الذي يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية ثم ينزل منه إلى هذه العلوم ، وإلى المحسوسات ليفسرها(الجوهري/شكري، 2004، صفحة 33) » . فالجدل إذن : منهج ، يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى وبالعكس، ومن حيث هو كذلك ، فإنه مقابل ما نسميه الآن نظرية المعرفة بمعنى أوسع أي يشمل المنطق والميتافيزيقا جميعا للوصول إلى معرفة خاصة بعلم الإنسان .

**المنهج الاثنوغرافي** :يتموقع المنهج الاثنوغرافي في محور الاتصال البحثي والعملي بين الفلسفة والأنتروبولوجيا الدينية، لذا حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على الجوانب الإجرائية للفلسفة الأثنوغرافية في البحث الأنتروبولوجي الديني، كون هذه المناهج وغيرها حلقة متكاملة مع بعضها البعض .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويقصد بالمنهج الاثنوغرافي"الدراسة الميدانية العلمية للظواهر الاجتماعية وذلك عن طريق اتصال الباحث الانثروبولوجي بموضوع البحث اتصالاً مباشراً يعيش فيه بين الجماعات المراد دراستها ويتعلم لغة الأهالي لكي يوثق صلته بهم(شماخي/معتوق، 2018، الصفحات 66-67) " فهو عملية التتبع التاريخي للهوية الفردية ونظرياتها التطورية من خلال التقصي للحقائق والاستدلال عليها وتدوين الملاحظات ، للظاهرة الدينية عند الفرد في البحث الانتروبولوجي.

ويمكن تحديد أهم خطوات المنهج الاثنوغرافي بما يلي(شماخي/معتوق، 2018، الصفحات 67-68):

**الملاحظة**: وهي من أهم طرق البحث الانثروبولوجي، والملاحظة تعني ملاحظة الباحث للمجتمع المدروس في التعرّف على صفات وخصائص ما يدرسه من خلال وصفه له.

**العملية**:وتكون العملية عادةً تلقائية غير مخططة، فهي صيرورة، والصيرورة شيء يحصل في كل مرة. وهي تتكرر نمطياً، فلا تشذ عن النمط.

**الوصف**: والذي يعد من أهم خطوات البحث الاثنوغرافي الذي يمارسه الباحث الاجتماعي، إذ يقوم الباحث بوصف ما يرى فقط وصفاً أميناً دقيقاً لما يحدث، وموضوعيا.

**التحليل** :فبعد جمع المعلومات يمكن للباحث ربط العلاقة بين المعلومات وتحليل محتوى العلاقات ودراسة مدى درجة الانسجام والتناقض بينها بما في ذلك الآثار التي تترتب عن ذلك.

تأسيسا على ذلك، يمكن اعتبار هذه المناهج العلمية ذات الطابع الفلسفي أنها تستطيع أن تمثل منهجا واحدا متكاملا ، تبنى عليها الدراسات الآنتروبولوجية الدينية في ترصد المعالم الدينية والثقافية للفرد في المجتمع وفهم ماهية المرتكزات الإيمانية من معتقدات ومبادئ.

**خاتمة:**

تبحث الفلسفة في أنثروبولوجيا الأديان عن الحقيقة الوجودية للإنسان و هذا هو التقاطع الحاصل بين الفلسفة والدين والأنتروبولوجيا غير أن المذاهب الفلسفية المتعددة، أدت إلى اختلاف المناهج الفلسفية للوصول إلى الحقيقة وما وراءها، فقد اهتمّت الفلسفة بتحديد القراءة الدينية للثقافة الإنسانية، وكيفية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تركيز العقل على هذه الثقافة وتطبيقها في سلوكياته من خلال فهم أعماق الثقافة النصيّة للدين، على غرار تلك الحياة الحضارية المتشبعة بالتطورات التاريخية.

وأخيرا يمكن القول أن الفلسفة تساعد العلوم بصفة عامة وعلم الانتروبولوجيا بصفة خاصة في البحث عن الحقيقة الدينية المتجددة بقدر ادراك الفرد ووعيه بالأشياء وفي هذا الإطار يصبح لثقافة المجتمع دور في نشأة التطلعات والتصورات الفكرية الفلسفية ، ليخرج بالتالي الباحث الأنثروبولوجي من حالة الركود وحالة البداهة إلى تفكير فلسفي عميق،وعلمي دقيق للمعرفة، والخروج عن المألوف بطرح إشكالات وصياغة أفكار ونظريات جديدة.

**المراجع :**


1) بارتي ج بارتو، (2010)، دراسة الأنتروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، بيت الحكمة العراقي.

2) الجوهري محمد ، شكري علياء ، (2004)،الأنتربولوجيا القضايا الموضوع و المنهج، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

3) شماخي موسى إسماعيل، معتوق جمال ، (2018)، منهجية البحث الإثنوغرافي في ميدان العلوم الاجتماعية ،مجلة الآنتروبولوجيا، المجلد4 العدد1.

4) غيضان السيد علي، (2019)، فلسفة الدين المصطلح من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

5) الماجدي زعل ،(دت)، علم الأديان (تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله)،الطبعة الثانية، دار المؤمن بلا حدود للدراسات.

6) مسلان ميشال، (2009)، علم الأديان، ترجمة عز الدين عناية، بيروت، المركز العربي الثقافي.

7) المصباحي محمد ، (2015)، مناهج البحث في الفلسفة، قطر، معهد الدوحة للدراسات العليا 2015 .

8) الهلالي محمد، (2020)، المناهج في الفلسفة، مجلة الحرية، المغرب، العدد 2 .

9) https://ar.strephonsays.com/ethnography-and-vs-ethnology-14499.

10) https://aljadeedmagazine.com.